

فى هذه البينات ، بدا لك أن هذه الضمانة - لدى محمد - تكمن فى معايير من التلاحم الداخلى ، من التوافق الجوهري بين مختلف ما أنزل من وحى فى حقب مختلفة ، على شعوب مختلفة ، وبواسطة رسل مختلفين ، بل إن الوحي الذى أنزل على محمد نفسه يضمنه أنه متماثل جوهرياً مع الوحي الذى أنزل على غيره من قبل (١) ، والذى يبدو له أمراً وثقة التاريخ . وهو لا يالو يتحدى معارضيه أن يأتوا بوحي مثله (٢) ، وحى يحمل نفس السمات الإلهية شكلاً ومضموناً ، أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى مما أنزل على موسى وعلى محمد (٣) . . . فإذا لم يقبلوا بهذه المعايير فى المستطاع اللجوء إلى محاكمة تماثل « الرهان » المعروف لدى « باسكال » . وذلك هو ما يفعله « مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » دفاعاً عن موسى : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ ﴾ (٤) .

والقرآن ما ينفك يقدم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية : فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتوالد الحيوان ، ودوران الكواكب والأفلاك ، وتنوع خيرات الحياة الحيوانية والنباتية تنوع رائع التطابق مع حاجات البشر ، ﴿ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٥) .

(١) كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (النساء : ١٦٣) ، وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى : ١٣) .

(٢) كما فى قوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور : ٣٤) ، وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (يونس : ٣٨) .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (القصص : ٤٩) .

(٤) غافر : ٢٨

(٥) آل عمران : ١٩٠ - والصواب : الإشارة إلى الآية ١٦٤ من سورة البقرة ، فهى التى تطابق ما ذكره الكاتب .